وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أم البو اقي
قسم العلوم السياسية، رقم الهاتف : 032-56-31-38
Site : http://www.univ-oeb.dz/fdsp/ Email : politicaldeprtoeb@gmail.com

إعداد: د. عبد الرحمان فريجة
Abderrahmane.fridja@univ-oeb.dz

أم البواقي، في: 2024/10/29

المحاضرة رقم (05):
المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع
ـــ المدخل الوضعي ـــ

الفئة المستهدفة: محاضرة في **مقياس مدخل لعلم الاجتماع**
موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس علوم سياسية تخصص
جذع مشترك السداسي الأول
للسنة الجامعية (2025/2024)

مقدمة

أبرزت المحاضرات السابقة، اسهامات المؤسسين والمفكرين في هذا الحقل السوسيولوجي، وقد تجسدت هذه الاجتهادات الفكرية في محاولات هؤلاء المفكرين نحو فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل الحياة الاجتماعية بشكل عام، والكشف عن طبيعتها، لكن بتصورات نظرية مختلفة باعتبار أن النظرية كانت موجها علميا في اجراء تلك التحليلات والدراسات، وهو الأمر الذي جعل عملية تطور النظرية السوسيولوجية مرتبطة بمراحل تطور علم الاجتماع ذاته.

تشير العديد من الدراسات إلى أن تطور هذا الحقل وارتباطه بعديد المفكرين من مختلف التخصصات العلمية أدى إلى بروز الكثير من المداخل والرؤى النظرية لعلم الاجتماع (كما هي موضحة في الشكل المقابل).

هذا التنوع شكل مجموعة واسعة من المذاهب والمدارس التي قدمت مناهج ونظريات ومنهجيات ونماذج فكرية متعددة، من أهمها نذكر أهم ثلاث مداخل نظرية أساسية، لهذا المجال وهي: المدخل **الوضعي** (البنيوية-الوظيفية-البنائية الوظيفية)، **المدخل الصراعي** (النظرية الماركسية التقليدية والمحدثة)، **النظريات النقدية**.

أولا – المدخل الوضعي:

ينسب المدخل الوضعي لأوغست كونت (1798-1858)، الذي قدم أفكاره الوضعية في كتابه الموسوم بـ "الفلسفة الوضعية"، فهذا المؤلف الذي جاء في مجلدين شرح فيه أن السوسيولوجيا الوضعية هي العلم الذي يدرس الظواهر الكلية والافعال الإنسانية الناتجة عن هذا العقل. والحقيقة أن علم الاجتماع الوضعي لا يهتم بالعقل الإنساني في حد ذاته (كيف يفكر)، بل بالنتائج المتراكمة والمجتمعة عن استعماله.

تهتم الوضعية بدراسة المجتمع الإنساني دراسة كلية، دراسة علمية موضوعية بالاعتماد على العقل والمنطق ثم الخبرة والتجربة، وذلك باستخدام أداوت بحثية متعددة أهمها الملاحظة والمقارنة وتتبع الأحداث التاريخية المتعاقبة.

عموما يمكن تناول المدخل الوضعي من خلال تطرقنا لثلاث نظريات أساسية:

- ❖ النظرية البنيوية (Structuralist Theory)
- ❖ النظرية الوظيفية (Functional Theory)
- ❖ ثم البنائية الوظيفية (Structuralist-Functional Theory)

1- النظرية البنيوية (Structuralist Theory)

تأسست البنيوية في نهاية القرن 19، واستمرت بالنمو والتطور حتى بعد منتصف القرن 20. وأعتمد تأسيسها على أهم رواد الوضعية، الذين وضعوا بصمتهم فيها ، في كل فترة معينة عاشوا فيها.

- ➢ انطلقت الوضعية مع أوغست (1858/1798) : منتصف القرن التاسع عشر، في كتابه الفلسفة الوضعية.
- ➢ ثم مع مارسيل ماووس (1950/1872): في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين: كتاب الهدية.
- ➢ وفي كتاب البنى الأولية للقرابة يؤسس كلود ليفي ستراوس (1986/1908): للوضعية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.
- ➢ يؤكد البنيويون على دراسة البنى والأنساق الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي: كالبناء الأسري، الديني، التربوي، الاقتصادي، الثقافي.
- ➢ كما تدرس البنيوية طبيعة البناء، وعلاقة هذه الأبنية ببعضها البعض في المجتمع، وكيف يتغير النسق/الانساق من كل لآخر، والعوامل المؤدية إلى تغير النسق.

المبادئ الأساسية للنظرية البنيوية:

تقوم البنيوية على جملة من المبادئ الأساسية العامة:

❖ **المبدأ الأول، لكل مجتمع إنساني بناء اجتماعي متكامل:**

- ➢ يتكون هذا البناء الاجتماعي من نظم اجتماعية فرعية ذات أغراض محددة تربوية، دينية، اقتصادية، سياسية)؛
- ➢ تتكون هذه النظم في حد ذاتها من نظم فرعية أخرى وتكون شديدة الارتباط والتساند فيما بينها؛
- ➢ وأن أي تغيير يحدث في بناء نظام فرعي يؤدي على تغير بقية الأنظمة الفرعية ومعها البناء الاجتماعي ككل.

❖ **المبدأ الثاني، يمكن تحليل البناء الاجتماعي إلى عناصره الأولية،**

- ➢ وهي: المؤسسات الاجتماعية، الأدوار البنيوية، الحقوق والواجبات؛
- ➢ البناء الاجتماعي يتكون من جملة من المؤسسات الاجتماعية لكل مؤسسة دور داخل البناء الذي تتواجد فيه؛
- ➢ وهذه الأدوار هي التي تشكل ثنائية الحق والواجب.

❖ **كما ترى البنيوية أن للبناء الاجتماعي نسقين (نسق عمودي ونسق أفقي):**

- ➢ فهدف النسق العمودي هو السيطرة والضبط (بتدرج السلطة/هرم السلطة)؛
- ➢ أما هدف النسق الأفقي هو تحديد مكان المسؤولية ومراعاة الاختصاص وتقسيم العمل وزيادة حجم المؤسسة (أو البنية) وتوسيعها.

❖ **كما تعتقد النظرية البنيوية بوجود نظام قيمي يحدد الحقوق والواجبات (أي الأدوار)، ويرسم قنوات الإتصال ويوضح الممارسات التي يقبلها النظام ويقرها وتلك التي يرفضها.**

- ➢ تعتقد النظرية البنيوية بوجود نظام قيمي يحدد الحقوق والواجبات؛
- ➢ تتمظهر هذه الحقوق والواجبات من خلال الدور المؤدى أو جملة الأدوار داخل كل بنية؛

- يرسم هذا النظام القيمي قنوات الاتصال بين البنى المختلفة ويحدد الممارسات التي يقبلها النظام ويقرها وتلك الممارسات التي يرفضها أو تلك الممارسات التي لا تساهم في استقرار البنية عموما.

❖ **تحدد البنيوية العلاقة المتفاعلة بين الدور الاجتماعي والشخصية (الفرد) من جهة، وبين الدور الاجتماعي والبناء الاجتماعي من جهة أخرى، لأن الدور الاجتماعي هو حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع.**

- بمعنى أن شخصية الفرد تمنحه، او كل فرد له دوره داخل المجتمع؛
- وكل بناء له دوره داخل المجتمع كذلك؛
- وترى البنيوية أن حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع هي الدور الاجتماعي.

❖ **تحدد البنيوية قوى أوعوامل الاستقرار الاجتماعي:**

- والتي من بينها: التنشئة الاجتماعية، ووسائل الضبط الاجتماعي (الدين والقانون)، وتحدد عوامل التغير الاجتماعي والتي من بينها: التصنيع الحروب، التنمية؛
- فعلى سبيل المثال عندما تتعرض البنية الاجتماعية لحرب فإنها تتغير، أيضا التصنيع هو أساس التنمية وهو أهم عامل لتغير البناء الاجتماعي؛
- تحدد البنيوية العديد من الظواهر التي ترسم أطر البناء الاجتماعي كالطبقية والبناء الطبقي، السكان والبناء السكاني، والعنصر والبناء العنصري،

2- *النظرية الوظيفية (Functional theory)*

تعتبر الوظيفية نظرية مركزية في علم الاجتماع، حيث تركز على مفهوم الوظيفة كأداة مفاهيمية رئيسية لدراسة الأنظمة الاجتماعية، وتنطلق هذه النظرية من مسلمة أن كل نظام اجتماعي يتكون من عناصر مترابطة، وأن كل عنصر يؤدي وظيفة معينة تساهم في استقرار النظام ككل.

ويعتبر العالمان الانثروبولوجيان "برونسلو مالينوفسكي" (1942/1884)، و"راد كليف براون" (1881-1955) رائدا الفكر الوظيفي.

1- الأساس التاريخي لمفهوم الوظيفة:

اتخذ مفهوم **"الوظيفة"** في علم الاجتماع في القرن التاسع عشر **طابع الحتمية**، متأثراً بأطروحات المدرسة الاجتماعية البيولوجية. هذه المدرسة ترى أن وظائف الجسم البشري حتمية وثابتة، مما يعني أن كل عضو في الجسم له وظيفة معينة تقابلها وظيفة محددة في المجتمع؛ ومن بين رواد هذه النظرة كان **"هربرت سبنسر" و"أوغست كونت"**، الذين شبهوا المجتمع بالإنسان، حيث اعتبروا أن كل جزء من المجتمع يلعب دورا أساسيا في استمراريته.

2- دور إميل دوركايم في تطوير المفهوم:

ومع ذلك، جاء إميل دوركايم ليقدم منظورا مختلفا، حيث ساهم في إخراج مفهوم الوظيفة من إطار الحتمية إلى إطار النسبية. دوركايم يرى أنه ليس من الضروري أن تكون كل وظيفة تعبيرا عن حاجة الجسم، كما أنه يمكن أن توجد وظائف لا تقابلها بنى محددة، وبمعنى آخر، هناك عناصر في المجتمع قد لا تؤدي وظائف واضحة، وهو ما يعكس تعقيد التفاعلات الاجتماعية، حيث يقول دوركايم أن هناك وظائف لا تقابلها بنى، كما قد تكون هناك بنى أو بناءات وعناصر لا تؤدي وظيفة/وظائف معينة في المجتمع.

3- التركيز على النتائج بدلاً من الأسباب:

يركز التحليل الوظيفي على نتائج وآثار وجود الظاهرة أكثر من تركيزه على مسبباتها، وفقا لماووس، كل شيء في المجتمع يؤدي وظيفة، ويعتبر دور أو مساهمة هذا الشيء ضروريا لبقاء واستمرار بقية الأجزاء في البناء الاجتماعي. بمعنى آخر، أي جزء في البناء الاجتماعي يمارس تأثيرا ملحوظا على استمرارية النظام ككل.

4- الفكر الوظيفي مقابل البنيوية:

في مقابل البنيوية، نجد الفكر الوظيفي الذي يعزز من أهمية الوظيفة كأداة مفاهيمية أساسية لدراسة الأنظمة الاجتماعية، حيث يقوم تصور هذه النظرية: لفهم مجتمع معين أو بناء اجتماعي، يجب علينا أن نفهم الوظائف التي تؤدى داخل هذا البناء.

3- النظرية البنائية-الوظيفية (Structuralist-Functional theory)

ظهرت **"البنائية الوظيفية"** (Structural-Functional Theory) كواحدة من النماذج النظرية الرئيسية لعلم الاجتماع، في أعقاب ظهور أفكار البنائيين والوظيفيين في تصور المجتمع والظواهر الاجتماعية، وهي من بين أهم النظريات السوسيولوجية (العلمية أو القائمة على المنهج العلمي)، التي جاءت لتتجاوز القصور والإخفاق الذي لحق بالبنائية والوظيفية كنظريتين لكل منهما أفكار أحادية الجوانب في النظر إلى المجتمع (البناء مقابل الوظيفة):

كغيرها من النظريات السوسيولوجية تقوم "البنائية-الوظيفية" على مجموعة من المقولات والأفكار الأساسية، فقد جاءت البنائية-الوظيفية مع اسهامات **"هربرت سبنسر"** (Herbert Spencer)، وتطورت مع اجتهادات **"تالكوت بارسونز"** (Talcott Parsons).

❖ **من بين الخصائص أو المقومات المميزة للبنائية الوظيفية حسب تالكوت بارسونز، أنها:**

1. تنظر للمجتمع (أو "النسق" كما يسميه أنصارها) في ضوء مفهومي البناء والوظيفة، ومن هنا سماها أنصارها بالنظرية النسقية" (النسق: مجموعة الأجزاء ذات الإعتماد المتبادل والمتساند/المتضامن فيما بينها).
2. تصف النظرية البنائية-الوظيفية، الحدود القائمة بين الأنساق الاجتماعية، حيث لكل منها وظيفة تتكامل مع الأنساق الأخرى (النسق الثقافي، النسق السياسي، النسق الاقتصادي،،،،،،).
3. يكون النسق في حالة إتزان مستمر، وأي تغير يمس نسقا فرعيا/جزئيا يؤدي إلى تغير النسق العام.

❖ **ترى البنائية-الوظيفية، أن لكل نسق أربعة مستلزمات وظيفية حددها "تالكوت بارسونز"**باختصار في مخطط سماه (**AGIL**)، وقد قام بتعريف النظام/النسق الإجتماعي من خلال منهجه الذي يعتمد على:

- وظائف **التكيف** (Adaptation) مع المحيط الخارجي الذي يضمن للنسق بقاءه، وتحاول هذه الوظيفة تحقيق التوافق مع البيئة المحيطة به، جنبا إلى جنب مع محاولات تغيير بعض عناصر هذه البيئة بما يحقق له الإستمرار والنجاح.
- وظائف **تحقيق الهدف** (Goal)، فالنسق لا يعمل إلا إذا كان موجها بهدف/أهداف، ويعني ذلك قيان النسق بتحديد أهدافه وتعبئة الموارد والإمكانيات لتحقيقه.
- وظائف **التكامل** بين الأنساق الفرعية (Integration)، ويشير ذلك إلى استحداث تنظيم مجموعة من العلاقات بين الوحدات المشكلة للنسق مع تحقيق التنسيق ودمجها في كيان متفرد.
- وظائف **الحفاظ على النمط** (الكامن) **والمعايير** (Latten patern) الموجودة داخل النسق/النظام، وتشير هذه الوظيفة إلى محاولة النسق الاحتفاظ بالنماذج الثقافية والحفاظ على ذاته مع مرور الزمن.

❖ **حسب بارسونز هذه الوظائف تتطابق مع الأنساق الفرعية، بحيث يقول أن:**

- النسق الفرعي **الاقتصادي** يضمن وظيفة التكيف: تتمثل وظيفة التكيف في تحقيق الاحتياجات الأساسية للحصول على المادة (المال) للنظام عن طريق انتاج المواد أو إنتاج الخدمات، وهذه هي الوظيفة الأساسية لهذا النظام الاجتماعي الفرعي لكي يتكيف الإنسان في بيئته، وهذه هي الوظيفة الاقتصادية.
- النسق الفرعي **السياسي** يضمن وظيفة تحقيق الهدف (في اتخاذ القرار مثلا)
- النسق الفرعي **الاجتماعي** يقوم بوظيفة التكامل (انطلاقا من مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية كالقانون، وغير الرسمية مثل الآداب والأخلاق العامة)، فوظيفة التكامل هي تنفيذ الهدف من خلال تحقيقه في أشكال القانون أو التنظيم أو غير ذلك من اجل تكامل الأنظمة.
- النسق الفرعي **الثقافي** يؤدي وظيفة الحفاظ على النمط الكامن داخل الأنظمة والذي يسمى عادة **"الثقافة" و"التعليم"**(من خلال عمليات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية)،

❖ داخل النظرية البنائية-الوظيفية، نجد دائما دراسات تالكوت بارسونز الذي حدد أيضا من خلال أفكاره في مؤلفاته، بنية الفعل الاجتماع الاجتماعي، ففي كتابه (بنية الفعل الاجتماعي الذي صدر سنة 1937)، **حدد باسونزنموذج الفعل الإنساني الذي يتكون من:**

- وجود الفاعل، له نطاق من الأهداف أو الغايات أو المفاضلات التي يختار بينها، له جملة من الوسائل المتاحة التي تساعده على الوصول إلى هذه الغايات، والبيئة الخارجية بما فيها من عوامل تحد من قدرة الفاعل على الاختيار.
- وأهم شيء هو أن البيئة تحتوي على معايير وقيم تؤثر على اختيارات الفاعل حتى وإن توفرت العوامل الدافعة.
- وبالتالي لم يكن اهتمام باسونز منصبا على الفعل الفردي فقط، بل على أنساق الفعل الذي يتكون من العلاقات القائمة بين الفاعلين الذين يطمح كل منهم للحصول على أقصى درجات الإشباع، معتبرا المجتمع ككل وما فيه من مؤسسات مختلفة عبارة عن شبكة من الأدوار التي تحكمها معايير وقيم ثابتة.

أفكارروبرت ميرتون في النظرية البنائية الوظيفة:

في سياق آخر قدم روبرت ميرتون إسهاما مختلفا في البنائية الوظيفية، يؤكد فيه على ثلاث مفاهيم وأضدادها:

1. **المعوقات الوظيفية (اللاوظيفة) مقابل الوظيفة**: بمعنى أن روبرت ميرتون يرى أن البناء الاجتماعي وما فيه من وظائف ليس بالضرورة بناء تؤدى فيه الوظائف وقد تتخل هذا البناء مجموعة من المعوقات الوظيفية (مثال وظيفة ولا وظيفة الأبنية في الجامعة).
2. **الوظائف الكامنة مقابل الوظائف الظاهرة**: من المفروض أن المسجد كبناء اجتماعي وظيفته الظاهرة يضمن وظيفة العبادة، ولكن المسجد قد يؤدي وظائف كامنة مثل وظيفة التنشئة الاجتماعية وحتى وظيفة المساهمة في الضبط الاجتماعي.
3. **البدائل الوظيفية مقابل الحتمية الوظيفية:**

- ترى **الحتمية الوظيفية** أن كل وظيفة تؤدى انطلاقا من عضو معين بينما البدائل الوظيفية عند روبرت ميرتون يرى أن الوظيفة الواحدة يمكن ان تؤدى انطلاقا من عدة ابنية في المجتمع، وبذلك يؤكد ميرتون على محدودية فكرة التكامل والتساند المطلق التي عرضها تالكوت بارسونز في تحليله البنائي الوظيفي؛
- فالنسق مهما كان متسقا في أجزائه لابد ان يحمل بعض العناصر التي لا تنسجم ولا تتوافق مع الكل. وعلى الرغم من أن النسق لا يخلو من الخلل الوظيفي، إلا أنه بخصائصه يمتلك القدرة على حل التناقضات والتوترات وصولا للتكامل، وهو ما يجعل التغيير يحدث بصورة تدريجية وغير مفاجئة، وتأتي هذه التغييرات من مصادر ثلاثة هي:

1. **يتكيف النسق مع التغيرات الخارجية**: لولا وجود تغيرات خارجية تفرض على النسق التكيف معها لكان النسق مستقرا ولا يحتاج إلى التغيير. أي ان النسق يجب أن يتكيف مع الظروف والعوامل الخارجية التي تؤثر عليه.
2. **النمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والثقافي**: الأبنية الفرعية تختلف في وظائفها تختلف في قيمها. أي أن الأجزاء المختلفة داخل النسق قد تختلف في وظائفها وقيمها، مما يؤدي إلى تطور النسق.
3. **التجديد والإبداع من أجزاء النسق**: وبالتالي فهي بحاجة للتغيير كما ان أجزاء النسق تتجدد وتبدع، وهو ما يدفع النسق ككل للتغيير. أي ان الأجزاء داخل النسق تسعى للتجديد والإبداع، مما يدفع النسق ككل نحو التغيير.

- بارسونز يرى أن المجتمع عبارة عن نسق تتكامل فيه وظائفه وتتكامل فيه فروعه وتتساند لأحداث التوازن في المجتمع ككل، بينما روبرت ميرتون بعرضه لمفاهيم (المعوقات، الوظيفية، الوظائف الكامنة، والبدائل الوظيفية) فإنه يعرض لنا محدودية الفكر النسقي عند بارسونز والنسق عند ميرتون مهما كان متسقا في أجزاءه، لابد ان يحمل في طياته بعض العناصر التي لا تنسجم ولا تتوافق مع الكل.

➢

- **الانتقادات الموجهة للنظرية البنائية-الوظيفية:**

يرى نقاد البنائية الوظيفية أن روادها قد أخفقوا في الوصول على صياغة نظرية عامة للمجتمع رغم محاولة ميرتون وغيره من المحدثين لسد ثغرات أطروحات تالكوت بارسونز، ويعدد النقاد بعض الإخفاقات، أهمها:

1. تركيز النظرية على فكرة التساند والتضامن والتوازن والتكامل وإهمال الصراع التغير واللاتوازن والإضطراب.
2. عموما شكلت البنائية الوظيفية أيديولوجية محافظة، تميزت بالتعقيد وصعوبة الفهم، رغم اسهاماتها.
3. التحيز الأيديولوجي، فهي نظرية جاءت لتبرير الوضع القائم في نظام قائم، أي تبرير ممارسات النظام الرأسمالي آنذاك.

المراجع المعتمدة:

- خالد حامد، "مدخل إلى علم الاجتماع، الطبعة الثانية" (الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2012).
- محمد عبد المعبود مرسي' 'علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الإجتماعي دراسة تحليلية نقدية"، الطبعة الأولى (القصيم، السعودية: مكتبة العليقي الحديثة، ب.س.ن).

https://shorturl.at/gCHPV

- Talcott Parsons, **''The Social System''** (Uk: Routledge, 1991). https://bit.ly/3sCUTwW
- Surachai Tumtavitikul, "Talcott Parsons' AGIL Schema-based System Identification of Administrative Problems of North-East Vocational Education in Thailand", **Chinese Business Review** Vol. 12, No. 11(November 2013), 747-761. https://bit.ly/475tSBj